

منظومة في الثقلاء

لِلناظم: عبد الله بن محمد بن حنبل

منظومة طريفة وظيفية ونادرة من التراث الشنقيطي الزاخر

لعلها أول منظومة في الباب

وهي التي أشار إليها الأستاذ حمدن ولد التاه في نظمه "الثقلاء" قائلا:

فصلها ابن حنبل تفصيلا وهو بسبق حائز تفضيلا
لكنه لو كان في زماني لزاد نظمه بنظم ثان

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن حنبل:

- ١ الحمد لله وصلى الله على نبينا ومن تلاه
- ٢ هذا وللثقل عند الظرفا
- ٣ إذ شبّهوه بحلول الدّين
- ٤ وبجريض الحين عند الحين
- ٥ وغير ذا مما هنا لم يذكر
- ٦ فرمى الله المعين نظما
- ٧ نظما حوى تفصيل حال الثقلا
- ٨ والله أرجو أن يكون لا لي ولا عليّ بل يُرى كالآل

فصل في الثقل الذاتي

- ٩ الثَّقَلُ الذاتيُّ وصفٌ نفسي
 - ١٠ ومن يقيم به فليس يُعقل
 - ١١ لكونه تستثقل الأرواح
 - ١٢ وقيل: لا، بل هو معنى خُلِقا
 - ١٣ يدركه الطبع السليم محضا
 - ١٤ والحق عندي أنه وجداني
 - ١٥ دليّله ما قال جالينوس
- تدركه النفوس دون حس
بدونه فهو الثقل الأثقل
دُنُوّه وللنّوى ترتاح
في الشيء بالمرئي قد تعلقا
يورثه تقَرُّزًا وقَبْضا
كالألم المُنتاب للإنسان
مَنْ زُيِّنَتْ مُحْكَمه الطروس

- ١٦ في قوله: لكل شيء حُمى والنفس حُمَاهَا ثَقِيلٌ حُمَا
 ١٧ والروح قال الشافعي تَمَرُّضٌ مِنْ نَظَرٍ إِلَى الثَّقِيلِ يَعْرِضُ
 ١٨ وَمَعْ ثَقِيلٌ مِنْ حَوَاهِ مَجْمَعُ فَقِيلَ كَيْفَ الرُّوحُ قِيلَ تَنْزَعُ
 ١٩ فَهَذِهِ أَدْلَةٌ صَحِيحَةٌ وَفِي الَّذِي ذَكَرْتُهُ صَرِيحَةٌ

فصل في الثقل العاقل

- ٢٠ العاقل الثقل جمرة الكبد لا أنت تطفيها وليست تبتد
 ٢١ فاصبر عليه مثل صبر المكتوي في لذعة الحشا وقلب يلتوي
 ٢٢ ووطن النفس على احتماله واضرعْ إلى مولاك في انتقاله
 ٢٣ لا تبدأنْه بسؤال أبدا واختصر الجواب إن هو بدا
 ٢٤ واحذر من أن يعلم حالك فلا تُظهرْ له تضجُّراً ولا قِلاً
 ٢٥ لكن إذا عدا عليك قدره وظن أنك جهلت أمره
 ٢٦ وغرّه لين الجناب والأدب وخال حقه عليك قد وجب
 ٢٧ فابصق بوجهه وعامل بالخنا فالعاقل الثقل شرُّ القرنا
 ٢٨ والعقل إن خلا من الظرافه وأدبٍ لم يحل من سخافه
 ٢٩ وما بعقلٍ وحده التوصل إلى قبيح أو إلى ما يجمُل

فصل في الأحمق الثقيل

- ٣٠ والأحمق الثقيل عند الباب مطرّد عند ذوي الألباب
 ٣١ والأمر فيه هيّن، وقيل ما إن يكون أحمق ثقيلًا

فصل في الأحمق الجاهل

- ٣٢ والجاهل الجلف الغليظ الجافي ثقله في الناس غير خاف
 ٣٣ فعاملنْه حيثما ألمّا بمقلّة عميا وأذن صمّا
 ٣٤ ولتصرفنّ عنك ذا التناوه بالذكر والتسبيح والتلاوه

فصل في العالم الثقيل

- ٣٥ العالم الثقيل من صفاته حبُّ الطعام فهو من عافاته

- ٣٦ عَجَّلْ لَهُ الطَّعَامَ كِي يَنْتَقِلَا
٣٧ وَإِنْ أَفَادَكَ عِلْمُ مَا اعْتَنَى
٣٨ وَقُلْ إِذَا نَصَرَفَ عَنْكَ وَانْثَنَى
٣٩ وَإِنْ تَنَلَّ مِنْهُ فَذَاكَ الْأَرْوَحُ
٤٠ وَهَاجِمٌ مَعَ ابْتِسَامٍ أَثْقَلَ
٤١ وَالْقَاعُ الدُّمُقَابِلُ الْمُسَامَتْ
٤٢ أَثْقَلَ مِنْ كُلِّ ثَقِيلٍ حَقًّا
٤٣ أَمَّا الَّذِي يَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ
٤٤ مِمَّنْ تَعَاطَى مَجْلَسًا فَمَجْلَسًا
٤٥ يَجْمَعُ فِي الْأَخْبَارِ جَمْعَ السَّيْلِ
٤٦ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ ثَقِيلًا أُصِّلَا
٤٧ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ خَيْرُ الثَّقَلَا
٤٨ وَلَا تَجَالِسِ الثَّقِيلَ إِلَّا
٤٩ أَوْ رَابِعَ أَوْ خَامِسَ أَوْ سَادَ
٥٠ وَإِنْ بُلِيتَ مِنْهُمْ بِأَثْنَيْنِ
٥١ فَأَحْضِرِ الْأَشْيَاخَ وَالْمَسُودَةَ
٥٢ فَذِي لَعْمَرُ اللَّهِ هِيَ الْقَاصِمَةُ
وَحَدَّثَنَاهُ بِحَدِيثِ الثَّقَلَا
بِهَافَقُلْ: إِنْ السَّمَاءُ فَوْقَنَا
حَمْدًا لِمَنْ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ
لِلنَّفْسِ، وَالنَّفْسُ إِلَيْهِ تَجْنَحُ
مَنْ جَنْدَلٌ يَلْقَى عَلَيْهِ جَنْدَلٌ
يَنْظُرُ بِالْعَيْنَيْنِ وَهُوَ سَاكِتٌ
لَوْ سُمِّيتَ عَيْنَاهُ لَا اسْتَحَقَّا
وَكُلَّ مَا طَرَا مِنْ الطَّوَارِ
إِمْعَةً لِلرُّؤُسَاءِ وَالنِّسَاءِ
كَأَنَّهُ مُحْتَطِبٌ بَلِيلٌ
فَإِنَّهُ فِي الْإِخْتِبَارِ شَغْلَا
إِنْ مَعَ الشَّرِّ خِيَارًا تَقْلَا
مَعَ ثَالِثٍ يَحْمِلُ عَنْكَ الْكَلًّا
حَمْلَ الْجَمَاعَةِ كَرِيشَ بَادٍ
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ رَهَيْنُ الْحَيْنِ
وَأَعْدِدَنَّ لِلْمَمَاتِ عِدَّةَ
فَاظْلُبْ مِنَ الْإِلَهِ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ